تأملات في الأدب والحياة

للأستاذ اسماعيل مظهر

في اللغة العربية:

من المشكلات العويصة التي تواجهها اللغة العربية في هذا العصر، مشكل قلّما انتبه له المشتغلون باللغة، لأنه يتعلق بموضوع لايمكن يوماً ما أن يكون ذا علاقة بشئون الحياة العامة تلك الشئون التي يوجه لها الناس عادة معظم اهتمامهم، ويصرفون فيها أكثر مجهوداتهم، ويوجهون نحوها أخص عنايتهم.

ذلك بأن الموضوع الذي سنتكلم فيه له علاقة بنواح علمية صرفة، قلما يحتاج إلى النظر فيها غير العلماء المختصين، ونادر أن يحتاج إليها كاتب أديب، أو شاعر مستجدد أو مستقدم. هذا بالرغم من أن أفق الأدب قد اتسع مداه، وتصور الشعر قد تعالى إلى أسمات لم يفكر فيها الأقدمون.

أما المشكل فينحصر في وضع أسماء عربية لأفراد الحيوان والنبات تعين الأشخاص والطبقات المختلفة بما فيها من الفصائل والعشائر والمراتب والأجناس والأنواع. ولقد كثر الجدل حول هذا الموضوع ولم يستقر الرأي فيه على شئ يصح الأخذ به؛ فان لكل رأي من الآراء رأياً يناقضه، ولكل أسلوب من الأساليب التي قيل بها أسلوباً ينابذه، والأمر فوضى لا ضوابط له ولا حدود، ينتحيها المترجم أو واضع الاصطلاح، حتى يأمن أن يخرج له ناقد برأي جديد يسفه ماذهب إليه. وكل مالا حدود له، لاعلم فيه. فالعلم أولَ شئ حدود وضوابط، هي أشبه بالمنطق عند القدماء. ومنطق العلم من شأنه البيان والتعيين فان ماهو مدخول بشك ليس من العلم الثابت في شئ. فما بالك بمسألة علمية، كالتي نحن بصددها، لم يتفق باحثان على قاعدة واحدة يمكن أن تتخذ أساساً للنظر فيه؟

ظلت العربية واقفة وعجلة الزمان من حولها تدور، وتسارع دورانها في خلال القرنين الفارطين، حتى بعدت الشقة بين الحياة الجديدة ومطلوبات العلوم والفنون، وبين اللغة العربية، حتى أن الفرق ليروع كل واقف على حقيقة الهوّة التي تفصل بين العلوم والآداب، وبين قدرة اللغة العربية على تأدية مدلولات مصطلحاتها في كلمات أصيلة مضرية الأصل أو صحيحة الاشتقاق.

ولقد انحصر الخلاف بين الناظرين في هذا الموضوع في نقط ثلاث: الأولى القول بالتعريب؛ والثانية القول بالنحت؛ والثالثة القول بالاشتقاق. ولا بد من الكلام في كل نقطة من هذه النقط لنظهر ماوراءها من مناحي القوة والضعف؛ حتى نخلص في النهاية برأي، آمل أن أكون قد وفقت فيه.

أما القول بالتعريب فرأي الذين يريدون اختصار الطريق وأخذ الأمر بنواصيه الظاهرة، دون خوافيه. ولا شك في أن العرب قد نزعوا هذه النزعة، وجنحوا هذا الجنوح. ويريد القائلون بالتعريب أن يتخذوا مما عمل العرب ركيزة يرتكزون عليها تعزيزاً لرأيهم فيه. غير أن هؤلاء لم يفطنوا إلى أشياء من أوجب الواجبات أن تكون دستور القول في مثل هذا الأمر. فالعربي أول شئ قد عرب وفي نفسه سليقة العرب وفي لسانه فصاحتهم وفي لغته بلاغتهم، وهذا أمر يتطلب منا الحكم في مَن مِنّا يمكن أن يكون ذا سليقة عربية أو ذوق عربي يقارب ذوق الأقدمين أصحاب اللغة؟ هذا شئ. وهنا لك شئ آخر فان العربي لم ينزع إلى التعريب إلا مكرهاً، بدليل القلة النادرة في ماورد من الألفاظ المعربة مقيسة على الألفاظ العربية الأوزان الصحيحة الاشتقاق. وهذا يدل على أن قاعدة العرب كانت الاشتقاق على الصيغ التي كان يرى العربي أنها أصلح لأداء المراد. وهذا أمر له من الشأن مالم يفطن له الأكثرون. ذلك بأني أعتقد أن العربي لم يزن ما اشتق من الأسماء خبط عشواء، وإنما راعى في اشتقاقها سليقة خاصة به. وبعد هذا وذاك ينبغي لنا أن نعرف أن التعريب ليس من السهولة بحيث يتصور الداعون إليه، بل إن من أسماء الحيوان والنبات أكثرية مطلقة يفضل المعرب أن يصوغ لها اسماً عربياً كائناً ماكان على أن يعربها فتكون غليظة غلظ الجبال، لندرة مايوافق تركيب حروفها جرسَ تركيب الحروف العربية من حيث المخارج وتلاؤم ذلك في الألفاظ العربية.

على أن جملة هذا القول لا تغني عن التصريح بأننا في حاجة إلى التعريب، ولكن بقصد وقدر معلوم، على أن تتقيد في

لتعريب بقواعد ، أخصها أن يكون المُعَرَّبُ على وزن عربي ن الأوزان قياسية أو سماعية حتى يلائم جَرْسُهُ جَرْس لكلمات العربية ، وحتى لا يحس منه المتكلم بالعربية نفوراً أو يجد يه تنافراً مع ما تأتى من صيغ نغته الكريمة .

ومع القول بأننا فى حاجة إلى التعريب ، ينبغى أن نلحظ أن لجوءنا إليه إنما تدعونا إليه ضرورة قصوى يقف عندها جهدنا ى البحث والاستقصاء وتقليب كافة الأساليب بكامل وجوهها .

ننتقل من هذا إلى الكلام فى رأى يقول به المؤيدون لنظرية تعريب إطلاقا ، وبلا قيد . هم يقولون إن أسماء الحيوان والنبات غة علمية عالية ، لا ينبغى لنا أن نزايلها بوضع الفاظ أو مصطلحات ربية تقصينا عن جو العلم . وفى هذا القول وجوه من الضعف وجوه من القوة . ذلك بأن القائلين بهذا الرأى قد فطنوا إلى حقيقة غابت عنهم حقائق كثيرة ، لم يجعلوا لها وزنا فى كفتى الميزان لذى اتخذوه وسيلة للحكم فى موضوع من أدق الموضوعات التى تصل بحياة اللغة العربية .

أما الحقيقة التى لم تغب عنهم ، فقولهم بأن أسماء الحيوان النبات لغة عالية . وهذا ما ليس إلى تكرانه من سبيل . أما الذى اب عنهم فحقيقة ذات علاقة شديدة بالحقيقة التى لم تغب عنهم . لك بأن أسماء الحيوان والنبات لغة عالية فى اللغات الأعجمية أى ى اللغات « الاندوجرمانية » ، وليس فى اللغات السامية . ولا ظن أن هذا الفارق ضئيل بحيث لا يعتد به ، بل على العكس من لك أعتقد أن ذلك الفارق من أكبر الفوارق التى تحفزنا إلى قول بأن أسماء الحيوان والنبات إن كانت عالية فى اللغات الاندوجرمانية » ، فلن تكون بالنسبة للغات السامية إلا أسماء ربية لا تمت اليها بأى سبب من الأسباب .

أضف إلى ذلك أن جهادنا فى سبيل اللغة العربية ينبغى أن تجه متجهاً واحداً ، هو أن تصبح هذه اللغة قادرة على الاستقلال مصطلحاتها العلمية والفنية والأدبية : بمعنى أنها تصبح لغة العلم لغة الأدب ولغة الفن فى مدارسنا ومعاهدنا بحيث نستطيع أن ؤدى بها أغراض المعرفة من غير استعانة بلغة أخرى . ولنفرض ثلاً أننا أردنا أن ندخل طرفاً من علم الحيوان فى كليات الأزهر مل يمكن لنا أن ندخله من غير أن تكون اللغة العربية تامة لقدرة على أداء المعانى والأسماء الضرورية لدرس هذا العلم الكبير فى وسط لا علاقة له بغير اللغة العربية ؟ وكيف تصبح اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون ، ما لم تكن تامة الوسائل لاداء أغراض العلم لطلاب لا يعرفون غير العربية ؟ وهل من الممكن بعد هذا أن ندرس هذا العلم ونحشو العبارات العربية الصريحة بالفاظ يونانية ولاتينية ، لا ينطقها أهلها الأصليون فى بعض الأحيان إلا بصعوبة ؟ وليجرب معي بعض حضرات طلاب الأزهر قراءة الجمل الآتية :

إن « الأورنثيرونكهوس بارادوكرس » حيوان ثديى بيوض يعيش فى أوستراليا ! والأنثريكوس طروغلوديطس حيوان من البرعات يعيش فى أفريقية ! والأرخوبتريكس طائر منقرض !

على هذه الصفة تكون عبارات علم الحيوان في العربية ، إذا أردنا أن نلزم التعريب الحرفي الذى يوافق اللغة العالمية فى اللغات « الاندوجرمانية » (الهندية الجرمانية) . ولعمرى كيف يستطيع عربى لا صلة له باللاتينية واليونانية أن ينطق هذه الكلمات الأعجمية المنحوتة من مقاطع متباينة وأهجية متنافرة نطقاً صحيحاً كما تنطق فى لغتها العالمية التى يتمنى بها فئة من ذوى الرأى لم يفطنوا إلى الصعاب التى تكتنف نظريتهم ، بل إنهم لم يحاولوا أن يفطنوا لها

* * *

ننتقل الآن إلى رأى القائلين بالنحت ، وهم ولا شك أقل من القائلين بالتعريب . أما النحت فباب يلحقه اللغويون بفقه اللغة ، ولكل من مشهورى اللغويين رأى فيه . فمن رأي السيوطى أن معرفته من اللوازم . وعرفه ابن فارس فى كتابه « فقه اللغة » فقال : إن العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة ، وهو جنس من الاختصار واستشهد بقول الخليل :

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك « حيعلة » المنادى

والحيعلة من قول « حىَّ على » . قال ابن فارس

« وهذا مذهبنا فى أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت ، مثل قول العرب للرجل الشديد « ضِبَطْر » من « ضبط وضبر » ؛ وفى قولهم « صَهْصَلِق » ، إنه من « صهل وصلق » ؛ وفى « الصَّلْدَم » إنه من « الصلد والصَّدْم » وقد ذكر ابن فارس مذهبه هذا مفصلاً فى كتابه مقاييس اللغة .

ومن كلام ياقوت فى معجم الأدباء :

« سأل الشيخ أبو الفتح عثمان بن عيسى الملطى النحوي ، الظهيرَ الفارسيّ عما وقع من ألفاظ العرب على مثال «شقحْطب» فقال : هذا يسمى من كلام العرب المنحوت ، ومعناه أن الكلمة منحوتة من كلمتين ، كما ينحت النجار خشبتين يجعلهما واحدة . فشقحْطب منحوت من « شقّ وحطب » . فسأله الملطي أن يثبت له ما وقع من هذا المثال إليه ، ليعوّل فى معرفتها عليه ، فأملاها عليه فى نحو عشرين ورقة من حفظه ، وسماها كتاب « تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب » اهـ . وهذه الوريقات مفقودة على الأسف .

وحكى الفرّاء عن بعض العرب « معي عشرة فأحْدِهنّ لى » أي صيرهن أحد عشر اهـ .

وقد ذهب اللغويون إزاء النحت مذاهب . فمنهم فئة لا تقول برأى ابن فارس . إذ لو صح رأيه إذَنْ لأصبح النحت كثيراً فى اللغة ، وبذلك يمكن القياس عليه ويطّرد فى كثير من الأحوال ومنهم فئة تقول برأيه . ولا شك فى أن قليلاً من التأمل يرجح قول ابن فارس فى أن كل الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت . وأقرب مثل على هذا كلمة « قُرْدُوح» أى القرد الكبير فهي بلا شك منحوتة من « قرد » و « دَوْح » والقرود تقر فى الدَّوْح ، فسمى العرب واحدها قُرْدُوح ، وما كان أكثر تسامحهم ، ما دام جرس الكلمة جارياً على الذوق العربي السليم .

وسواء أكان النحت أصلاً من أصول الوضع الصحيحة فى اللغة أم كان غير ذلك ، فان الرأى غير متفق على اتخاذ النحت أساساً من الأسس التي يلجأ إليها فى وضع الألفاظ الاصطلاحية الجديدة . ذلك بأن القول بأن اللغة العربية لغة اشتقاق ، وليست لغة نحت ، جعل الذين يريدون التوسل بالنحت إلى وضع المصطلحات الحديثة يتريثون طويلاً . ولكنا بالرغم من هذا نعرض الأسئلة الآتية :

أولاً — أيعتبر النحت قياسياً أو سماعياً ؟ وما حد القياس والسماع فيه باعتبار أقوال فقهاء اللغة ؟

ثانياً — أيجوز أن نجرى على النحت فى وضع المصطلحات التى نعجز عن ترجمتها أو تعريبها تعريباً يفى بحاجات اللغة ؟

ثالثاً — أيفسد النحت اللغة العربية إذا روعى فيه

(١) أن يكون المنحوت على وزن عربي نطق به العرب (٢) ألا يكون نابياً فى الجرس عن سليقة اللغة (٣) أن يؤدى حاجات اللغة من إفراد وتثنية ونسب وإعراب

رابعاً — أيجوز أن تنحت ألفاظ على غير وزن عربى عند الضرورة ، أم تقتصر على أن يكون المنحوت على وزن عربى إطلاقاً

خامساً — هل كون اللغة العربية لغة اشتقاق فى بنيتها ، ينافى النحت مع مراعاة شروط خاصة كالتي سبق أن ذكرناها ؟

سادساً — إذا أضفنا إجازة النحت إلى الاشتقاق ، أيكون هذا توسيعاً فى اللغة وتيسيراً ، أم تضييقاً وتعسيراً ؟

* * *

وقبل أن نمضى فى شرح ما نراه حلاً لهذا المشكل الكبير ينبغي لنا أن نلقى نظرة فى التعريب والنحت ، لنقول إنهما فى أكثر الأحوال عسيرين كل العسر ، شاقين كل مشقة ، جامدين كل جمود ، وبخاصة إذا كثرت مقاطع الكلمات الأعجمية المراد تعريبها أو تعددت حروفها إلى ما فوق الخمسة ، أو تكونت من أكثر من لفظ كما فى أسماء الأنواع من النبات والحيوان . وكذلك فى النحت فقد نجد أن حروف الكلمتين المراد نحت كلمة منهما قد تتنافر حتى ليتعذر نحت كلمة منهما توافق الجرس العربي .

على أننا بالرغم من كل هذا ، وبالنظر إلى كثرة الأسماء التى نريد إيجاد مقابلات لها فى العربية ، وهي تعد بالملايين ينبغى توسيعاً لأقيسة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون والآداب أن نعتبر التعريب والنحت أصلين من أصول الوضع فى اللغة ، على أن نحذر من التمادى فيهما كل الحذر ، وألاّ نلجأ إليهما إلا عند الضرورة القصوى ما دامت أوزان اللغة وصيغها تواتينا بحاجتنا من الأسماء التى تطلبها .

* * *

بقى علينا بعد ذلك أن نعرف هل تواتينا اللغة العربية بما نحتاج إليه من الأسماء ؟ إن لى فى هذا رأياً جديداً لعلى أوفق إلى تبيانه فى الأسطر التالية .

جمدت اللغة العربية بتعنت اللغويين ، كما جمدت الشريعة الاسلامية بتعنت أصحاب المذاهب . فان القول بقياسية الصيغ وسماعيتها ، بنسبة الكثرة والقلة ، بالرغم من أنها صيغ سمعت من أعراب أصلاء ، قد أصاب اللغة بجمود لم يبلغ الشعور بقسوته بقدر ما بلغ فى زماننا ، ولم يأنس جيل من أبناء العربية بمقدار

ره في تقييد أساليبهم العلمية بقدر ما أنس جيلنا هذا . فإن أكثر صيغ التي وردت منها أسماء النبات والحيوان صيغ سماعية ، معنى أنها سماعية أنه ممنوع عليك أن تقيس عليها وأن تصوغ لى غرارها أسماء جديدة تدل على حيوان أو نبات لم يذكره عرب ، على قلة ما تستطيع أن تعين من أشخاص الحيوان النبات التي ذكرها العرب لضعف التعاريف أو فقدانها كلية . م يبق أمام الواضعين للأسماء الجديدة إلا الصيغ القياسية ، وهى يلة مقيسة بالعدد الوافر الذى ورد فى كلام العرب من الصيغ تى اعتبرها اللغويون سماعية . وهذه القيود الثقيلة التي لا مبرر ا إلا مسألة إحصائية قيدت اللغة وقيدت الواضعين بقيود صفدتهم بأغلال ، هي السر الوحيد فيما يقال عن عجز اللغة العربية ن مجاراة اللغات الأخرى في الأسماء الدالة على الأشياء الحديثة ، ك فى حين أن إجازة الصوغ على تلك الصيغ التى قيل إنها اعية يفتح على اللغة أبواباً واسعة تجعلها تفوق كل لغات الأرض القدرة على الوضع اللغوى الأصيل الذى لا يخرج عما اتبعه رب من الأصول التى جروا عليها فى بناء لغتهم المجيدة .

ولا أريد أن أذهب هنا مذهب القائلين بأن كل ما قيس على لام العرب ، ويقصد بهم العرب الأصلاء إلى نهاية القرن الثالث جرى ، فهو من كلام العرب ، وعلى رأسهم الامام ابن جنى ، ما أري فى رأيه من رجحان ، بل أريد أن أتواضع قليلا ول إن الظرف العلمي يحفزنا إلى التسليم ، على الأقل ، بالقول ن كل الأوزان التى صاغ منها العرب أسماء الحيوان والنبات سية ، بصرف النظر عما ورد منها قلة وكثرة فى كلام العرب . نا بذلك نوسع حقيقة من أقيسة اللغة ، وتقل حاجتنا إلى التعريب لنحت ، حتى لأكاد أومن بأن حاجتنا إليهما تنعدم تقريباً ، وإنى فضل اسماً مصوغاً على صيغة نطق بها العرب ، مع مراعاة شروط التى اتبعوها فى الوضع والتى سأشرحها بعد ، على اسم رب أو منحوت مهما حسن جرسه فى السمع . فإننا بذلك افظ على سلامة اللغة ونكون قد أمنا التطوح باللغة فى مهاوى ساد الذى سوف يؤدى إليه التمادى فى التعريب بالجملة ، إذا حنا رأى بعض المتطرفين الذين لم يتذوقوا بعد للغة العرب طعما

على أن العربى لم يجر فى وضع الأسماء على غير قاعدة ، بل إنه اتبع قاعدة أوحى إليه بها طبيعة الظرف الذى أحاط به فى مختلف البيئات التى عاش فيها ، وساعدته سليقته على تطبيقها . فانك إذا تأملت الأمر بعض الشيء ، ألفيت أن العربى كان ينظر فى الشيء فيلحظ فيه كثيراً من الصفات ، فاذا غلبت فى الشيء صفة صاغ له اسماً مستمداً من اللفظ الذى يدل على هذه الصفة والأمثال على ذلك كثيرة لا تحصى . ولا بأس من أن أورد هنا بعضاً منها .

الإسليح : نبات ؛ قال أبو حنيفة الدينورى : واحدته إسليحة طوال القصب ، فى لونه صفرة تأكله الابل . وقيل هو عشبة تشبه الجرجير ، وينبت فى حقوف الرمل ، والأولى أكثر (ابن سيده) . وقيل هو نبات سُهلى ينبت ظاهراً ، وله ورقة رقيقة لطيفة وسنفة محشوة حباً كحب الخشخاش . وهو نبات مطر الصيف يُسلِح الماشية (ابن خالويه واللسان) اهـ . فأخص صفة لحظها العربى فى النبات أنه يسلح الماشية أي يسهل بطونها ، فسماه الاسليح

الرَّتم والرَّتيمة : قال أبو حنيفة : الرتم والرتيمة نبات من دقّ الشجر كأنه من دقته شبه بالرتم ، وهو الخيوط (اللسان) وقيل إنه شجر له زهر كالخيرى وحب كالعدس (ابن سيده) والرتمة خيط يعقد فى الأصبع للتذكير (ج) رتم كالرتيمة (ج) رتائم ورتام وأرتمة ، والرَّتم محركة نبات كأنه من دقته شبه بالرتم زهره كالخيرى وبزره كالعدس (القاموس ١١٦ : ٤)

السُّلْتُ : قال الليث شعير لاقشر له أجرد . زاد الجوهرى : كأنه الحنطة . وعن أبي حنيفة : هو صنف من الشعير يتجرد من قشره كله . وعن اللسان : وينسلت حتى يكون كالبرّ سواء

السُّمْنة : عن أبي حنيفة : دواء تُسمَّن به النساء

الشّعارير : صغار القثاء ، الواحدة شعرورة ، سميت بذلك لما عليها من الزَّغب

الظُّفرة : نبات حريف يشبه الظفر فى طلوعه (التاج)

الظِّلام ؛ والظالم ، قال الأصمعي : هو شجر له عساليج طوال وتنبسط حتى تجوز أصل الشجرة ، فمنها سميت ظِلاماً

العَصَب : شجرة تلتوى على الشجر وتكون بينها ، ولها ورق ضعيف ؛ وفى اللسان شجرة العصبة نبات يلتوى على الشجر ،

وهو اللبلاب اهـ . والاسم تشبيه بعصابة الرأس لأنه يلتوى على غرارها

العَطفُ : نبات يلتوى على الشجر ، لا ورق له ولا أفنان قال ابن بَرّى : العطَفة : اللبلاب ، سمى بذلك لتلويه على الشجر

العِقدُ : شجر ورقه يلحم الجراح (التاج)

فمن هذا يظهر لك أن العربي لم يجر فى وضع الأسماء على غير قاعدته ، وإنما كانت قاعدته أن يلحظ فى الشئ صفة ، فيرجع إلى لغته حتى يقع على الكلمة التى تؤدى معنى تلك الصفة ثم يصوغ منها الاسم على وزن يلذ فى أذنه جَرْسُه

على أن لنا فى لغتنا العربية من الأصول ما يقابل كل الأصول التى نحت منها الفرنجة أسماء الحيوان والنبات يونانية كانت أم لاتينية . فاذا استعنا بالصيغ السماعية على ما بين أيدينا من الصيغ القياسية ، انفتح أمامنا الباب المغلق ، وخرجنا إلى الرحاب الواسعة وحافظنا على سلامة اللغة أن يطيح بها التقريب السقيم ، أو يتلاعب بها من ليس فى مقدورهم تفهم أصولها وأساليبها

والسبيل المعقول هو أن نكب على جمع أسماء النبات والحيوان ثم نعرف من أية الصيغ وردت ونحصر هذه الصيغ حصراً كاملا بقدر الامكان ، ثم نجيز قياستها والصوغ عليها فى أسماء الحيوان والنبات . فاننا بذلك لا نخرج عن القاعدة التي جرى عليها العرب مادمنا سنراعى شرط لحظ الصفة في السمى على ما عمل أسلافنا طيب الله ثراهم ، فان تسمحهم في هذا الشأن ، يضطرنا إلى القول مع الأئمة الذين قالوا من قبل « إن كلاماً قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب »

وإن لغتنا لواسعة وإن لنا فى أقيستها وصيغها التى وردت على لسان العرب ، ما يكفل لنا وضع الأسماء الجديدة التى يظن البعض أن وضعها من المستحيلات . وإني جرياً على القاعدة التى شرحتها هنا ، لقمين بأن أضع اسماً لأى نبات أو حيوان لا اسم له فى العربية ، مصوغاً على ما ورد فى كلام العرب

وقد جمعت حتى الآن من أسماء النبات أكثر من ألفى اسم ، وسأضع فى هذا الموضوع رسالة آمل أن تكون مبدأ عهد جديد في صوغ أسماء عربية للحيوان والنبات

اسماعيل مظهر

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعى

١٨٨٠ — ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٢ —

نسبه ومولده :

الرافعى سورى الأصل ، مصرى المولد ، إسلامي الوطن : فأسرته من (طرابلس الشام) ، ضم ثراها عظام أجداده ، ويعيش على أرضها إلى اليوم أهله وبنوعمه ؛ ولكن مولده بمصر ، وعلى ضفاف النيل عاش أبوه وجده والأكثرون من بنى عمه وخئولته منذ أكثر من قرن ؛ وهو فى وطنيته (مسلم) : لا يعرف له أرضاً من أرض الإسلام ينتسب إليها حين يقول : « وطنى . . . » فالكل عنده وطنه ووطن كل مسلم ؛ فأنت لم تكن تسمعه يقول : « الوطنية المصرية... » أو « الوطنية السورية ... » أو « الوطنية العراقية . . . » إلا كما تسمع أحداً يقول : هذه دارى من هذا البلد ، أو هذه مدينتي من هذا الوطن الكبير الذى يضم أشتاتاً من البلاد والمدائن . وإنما الوطن فيما كان يراه لنفسه ولكل مسلم ، هو كل أرض يخفق فيها لواء الإسلام والعربية ؛ وما مصر والعراق والشام والمغرب وغيرها إلا أجزاء صغيرة من هذا الوطن الإسلامى الأكبر ينتظمها جميعاً كما تنتظم الدولة شتى الأقاليم وعديداً من البلاد

وكثيراً ما كانت تثور الخصومات بين الرافعى وبعض الأدباء فى مصر ، فما يجدون مغمزاً ينالون به منه عند القراء إلا أن يتهموه فى وطنيته ، أعنى مصريته ؛ وكان الرافعي يستمع إلى ما يقولون عنه فى ذلك مغيظاً حيناً وساخراً حيناً آخر ، ثم يقول : أفتراهم يتهمونني فى مصريتى لأننى فى زعمهم غير مصرى وفى مصر مولدى وفى أرضها رفات أبى وأمي وجدى ، أم كل عيبى عندهم فى الوطنية أننى صريح النسب ؟ . . . وإلا فمن أبو فلان وفلان ؟